

الحلقة الرابعة والأربعون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي هوشع

مستمعي العزيز، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، والمسيح المخلص الآتي.

انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة سفر النبي دانيال. فتأملنا بحلم التمثال وتفسيره، ثم درسنا نبوءة السبعين أسبوعا والتي حددت موعد المجيء الأول للمسيح. وتأملنا بحادثة إنقاذ الله للفنية الثلاثة من أتون النار المتقدة. ثم درسنا حلم النبي دانيال الذي كشف عن صعود المسيح كابن للإنسان إلى السماء. وتبين لنا تحقق هذه النبوءة بقيامة المسيح المجيدة. حيث أُعطي المسيح سلطانا ومجدا وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة.

ننتقل اليوم إلى سفر آخر من أسفار الأنبياء، ألا وهو سفر النبي هوشع ، والذي يأتي ترتيبه في الكتاب المقدس بعد سفر النبي دانيال. وهوشع اسم عبري معناه الخلاص. كان النبي هوشع معاصرا للنبي إشعياء ، فعاش في القرن الثامن قبل الميلاد ، ودامت فترة نبوءاته حوالي أربعين سنة . تنبأ هوشع على مملكة إسرائيل، التي كانت تقع في شمال مملكة يهوذا، وعاصمتها السامرة. كان النبي هوشع من شعب هذه المملكة الشمالية، وعاصر ملكها يربعام بن يوآش وخلفائه . ولقد أرسله الله ليبكِّت شعب هذه المملكة على خطاياهم الكثيرة، والتي بلغت حدا لا يُطاق، ولينذرهم بدينونة الله القادمة.

شبه هوشع الشعب بالزانية ، لأنهم تركوا عبادة الرب الله ، وانغمسوا في العبادات الوثنية، أي خانوا عهدهم مع الله ، كالزوجة التي تزني وتخون زوجها . وكشف هوشع عن قضاء الله الرهيب على هذا الشعب. قال الله على لسان هوشع أنه سيبيد مملكة بيت إسرائيل، وأنه لن يعود يرحمهم ، بل ينزعهم نزعا . "لأنكم لستم شعبي وأنا لا أكون لكم ." (هوشع ٩:١) وهذا الذي حصل بالضبط . ففي عام ٧٢٢ قبل الميلاد احتل الآشوريون أخيرا مدينة السامرة ، وسبوا أسرى كثيرين من الشعب إلى آشور . فكانت هذه نهاية مملكة إسرائيل الشمالية، وقضاء الله العادل جزاء خطية هذا الشعب ، وعبادته الوثنية. ثم أحضر ملك آشور بقوم من آشور ، وأسكنهم مع الباقين من البلاد من شعب إسرائيل ، فاختلطوا بهم ، وجاء السامريون نتيجة هذا الاختلاط. وهم السامريون الذين كانوا موجودين في أيام المخلص المسيح.

بالإضافة إلى هذه النبوءة عن إبادة مملكة إسرائيل ، احتوى سفر النبي هوشع على بعض النبوءات المتعلقة بالمخلص المسيح، وخلص الله الذي سيُعلن لجميع الشعوب. ففي الأصحاح الحادي عشر تنبأ هوشع قائلاً: "ومن مصر دعوت ابني". يخبرنا البشير متى في بشارته، عن أمر الملاك ليوسف لكي يقوم ويأخذ الطفل يسوع وأمه مريم إلى مصر، هرباً من بطش الملك هيرودس. وفعلاً، وبعد هروب العائلة المقدسة إلى مصر، أمر الملك هيرودس بقتل جميع صبيان بيت لحم وتخومها . ذلك لأن الملك هيرودس خاف من هذا الطفل المولود يسوع المسيح، الذي سيصبح ملكاً يزاحمه على عرشه. (راجع بشارة متى ٢: ١٣-١٨)

والجدير بالذكر هنا، أنه تمت نبوءة أخرى كان قد تنبأ بها النبي إرميا، عن مقتل أطفال بيت لحم. قال النبي إرميا: "صوت سمع في الرامة نوح بكاء مرّ. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين". (سفر إرميا ٣١: ١٥) أي تنبأ النبي إرميا عن لوعة الأمهات اللاتي فقدن أولادهن وبكائهن. الأمر الذي تمّ بقتل أطفال بيت لحم الذكور زمن ولادة المسيح.

نعود الآن إلى نبوءة هوشع: "ومن مصر دعوت ابني". (هوشع ١: ١١ب) فكيف تمت هذه النبوءة؟ يخبرنا البشير متى في بشارته أيضاً، أن يوسف ومريم والطفل يسوع، بقوا في مصر إلى وفاة الملك هيرودس وذلك لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: "ومن مصر دعوت ابني". (راجع بشارة متى ١٩، ٢٠، ٢٣) أي أن هذه النبوءة قد تمت بحذافيرها عند عودة الطفل يسوع المسيح من مصر. فالمسيح هو ابن الله الذي حُبِلَ به من الروح القدس في أحشاء العذراء مريم . ولهذا قال عنه الله في النبوءة هنا ابني، الذي دعاه من مصر. لكن كما ذكرنا سابقاً، فإنه ليس المقصود بتعبير ابن الله ، أن الله تزوج وأنجب ابناً، حاشاً وكلاً. بل هو يشير إلى أن الابن هو المعبر عن الله وحامل صفاته، والمتحد معه في الجوهر منذ الأزل. مع العلم أن الله واحد.

وفي نبوءة أخرى تنبأ النبي هوشع عن زمن المسيح قائلاً: "إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات . " (هوشع ٦: ٦) فعندما احتج الفريسيون على المسيح لأنه كان يأكل مع العشارين والخطاة، أجابهم المسيح قائلاً: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة." (بشارة متى ٩: ١٢ و١٣) أي اقتبس المسيح ما سبق لهوشع أن أكده: أن الرحمة أهم من الذبيحة. فقد كان بنو إسرائيل قديماً يظنون أن بتقديمهم الذبيحة، يرضون الله. لكن أتى النبي هوشع ليعلن لهم، أن رحمة الله تأتي فقط، عندما يتوب الإنسان الخاطئ عن خطاياها، ويسعى لمعرفة الله المعرفة الحقّة. ولقد أتى المخلص المسيح إلى عالمنا ، ليعلن رحمة الله ، وليدعو الناس الخطاة إلى التوبة. وهكذا صار بمقدور أي إنسان مكبل بقيود الخطية، أن يأتي إلى الله تائباً ، فيجد عنده بواسطة المخلص المسيح الرحمة والغفران.

وتنبأ النبي هوشع نبوءة هامة عن الزمن، الذي سيُعلن فيه خلاص الله لجميع الشعوب. فتحدث عن ذلك اليوم الذي سيرحم فيه الله الإنسان الخاطيء، ويدعوه لكي يصبح من شعبه، ويغدو هو إلهه. قال النبي هوشع: "ويكون عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبي يقال لهم أبناء الله الحي." (هوشع ١: ١١) ولقد اقتبس الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل فيما بعد هذه الآيات، وفسرها لنا.

تحدث الرسول بولس عن رحمة الله فقال: " التي أيضا دعانا إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا. كما يقول في هوشع أيضا سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضوع الذي قيل فيه لستم شعبي أنه هناك يدعون أبناء الله الحي." (الرسالة إلى رومية ٩: ٢٤-٢٦) كان بني إسرائيل قديما يظنون أن خلاص الله، سيقنصر عليهم. فأتى النبي هوشع ليعلمهم أن خلاص الله سيشمل شعوب الأرض قاطبة. وأن الله سيدعو أناسا من كل الشعوب لكي يصبحوا من شعبه ومن أولاده.

ثم فسّر لنا الرسول بولس كيف تمت هذه النبوءة. فقال إن الله يدعو اليوم عن طريق المخلص المسيح، الناس الخطاة ومن مختلف الشعوب، لكي يصبحوا من شعبه. رغم أنهم لم يكونوا قديما من شعبه ومن أحيائه. وأضاف الرسول بولس قائلا: أنه يكون في ذلك المكان، الذي قيل فيه لستم شعبي، أنه هناك يدعون بأبناء الله الحي. أليس هذا ما يحصل اليوم أعزائي المستمعين ؟ إن المؤمنين بالمسيح المنتشرين في كل أنحاء العالم ، وفي أمكنة لم يكن فيها الله معروفا، أصبحوا هم أبناء الله الحي. ولهذا لم يكن غريبا أن يدعو المسيح تلاميذه، لكي يذهبوا ويكرزوا ببشارة الخلاص إلى جميع الأمم.

ولقد أكد الرسول بطرس هذه الحقيقة عندما وجّه كلامه إلى المؤمنين بالمسيح قائلا: "الذين قبلا لم تكونوا شعب الله وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون." (رسالة بطرس الأولى ٢: ١٠) إذن، إن المؤمنين بالمسيح اليوم، الذين لم يكونوا سابقا من شعب الله، أصبحوا من شعب الله، وجزاء لا يتجزأ منه. كانوا سابقا غير مرحومين، أما الآن فقد رحمهم الله بسبب توبتهم وإيمانهم بالمخلص المسيح.

لا بل إن المخلص المسيح سبق أن أكد أن له خرافا آخر، ليست من هذه الحظيرة، أي أناسا آخرين ليسوا من الحظيرة اليهودية. وقال إنه ينبغي أن يأتي بتلك أيضا فتسمع صوته، وتكون رعية واحدة وراع واحد. (بشارة يوحنا ١٠: ١٦) وهو تماما ما قصده الرسول بولس، عندما تحدث عن شعب الله الجديد الواحد، الذي دعاه الله من اليهود والأمم. أي كنيسة المسيح الحقيقية التي تشمل كل المؤمنين، والتي يرعاها المسيح مخلصها.

ألا تود مستمعي أن تتال رحمة الله وتصيح من شعبه الجديد هذا؟ تعال إذن بتوبة صادقة، مؤمنا بالمخلص المسيح الذي أتى وأعلن رحمة الله ، عن طريق موته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات.